ملف

عملت السلطات الاثيوبية منذ أكثر من سنتين على اسدال ستار كثيف على احبار المجابهة بينها وبين قوات الثوره الارتيريه، ومنعت الصحفيين من الدخول الى اسمره ، ومؤخرا منعت دخول وخروج اي اجنبي من اثيوبيا خوفا من تسرب اي خبر عن حقائق الاحتلال اليومي هناك . فما كان من الثورة الا ان ردت على الاسلوب الاثيوبي بتوجيه الدعوات الى اصدقائها لزياره ارتيريا . ولكن عن طريق اخر ، ربما اكثر صعوبة ومشقه ، لكنه يظل الطريق الوحيد لتعريف العالم بالثورة — التي بدت احيانا وكأنها مجهولة للعالم — .

وبناء على دعوة من جبهة تحرير ارتيريا — قوات التحرير الشعبية — كان تلهدف فرصة المساهمه في التعريف بالثوره الارتيرية التي ستنجز بالتاكيد اول استقلال لارتيريا على الاطلاق ومنذ كانت تسمى (بجر صاف) اي اقليم البحر .

□□□

قديما كان اليونانيون يسمون البحر الاحمر ((سينوس ارتريوس)) ومن هنا جاء اسم ارتيريا ، حيث تسمى ايضا ((اقليم البحر)) ، ربما لكون شاطئها يمتد على البحر الاحمر امتداده الذي لم يكن لاي من الاقاليم الاخرى المطلة عليه حسب التقسيم الاقليمي السائد آنذاك .. وحتى اليوم .

تبلغ مساحة ارتيريا ١١٩ الف كيلومتر ، ويمتد ساحلها على البحر الاحمر مسافة ١٠٠٠ كيلومتر ، مطله على شمال مضيق باب المندب جنوبا وحتى ميناء سواكن في السودان شمالا ، ولها عدة موانىء اهمها ميناءي مصوع وعصب .

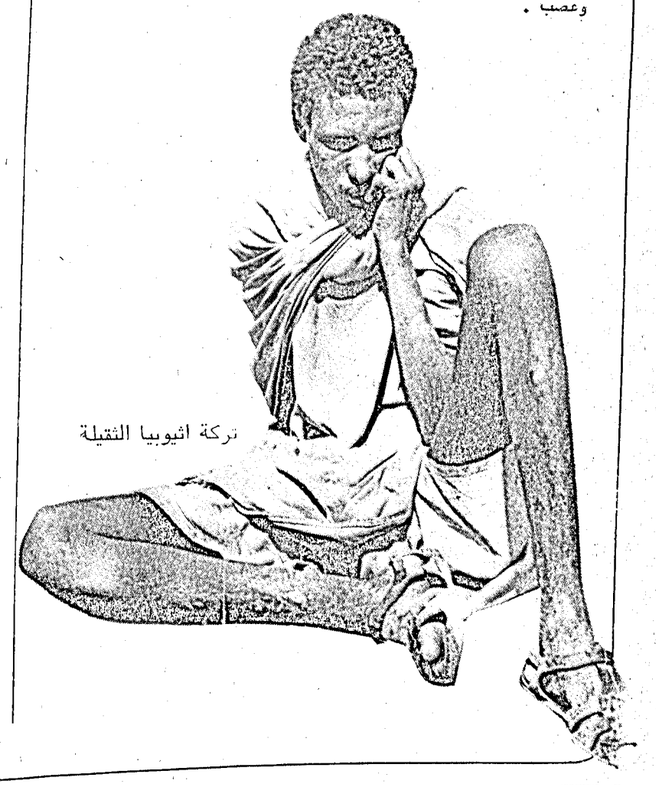

تركة اثيوبيا الثقيلة

وارتيريا ، تكتنز بالثروات الطبيعية حتى انكاد تتفجر صخورها معادن وخيرات .. فبعد بضع كيلومترات من الصحراء يبدأ ارتفاع الارض ، وتبدأ بالظهور سلاسل الجبال الصخرية التي تعج بالرخام والحديد والمايكا ، وكلما توغلنا في الداخل وكلما ازداد ارتفاع الارض وصولا الى الهضبة التي تشكل قلب ارتيريا والتي تقوم عليها اسمرا العاصمة ، كلما تنوعت المعادن حيث اليورانيوم ، والماس وعروق الذهب التي يقولون انها ترى بالعين المجردة . وقد اكتشف مؤخرا كميات كبيرة من البترول على الساحل وكميات هائلة من الغاز الطبيعي في البحر الاحمر ..

والثروة الحيوانية في ارتيريا كبيرة جدا حيث ان اغلب الريف الارتيري الذي يشكل اغلب مساحة ارتيريا هو ريف رعوي لحد الان تعتمد الغالبية الساحقة من سكانه على تربية ورعي الحيوانات ، وكانت ثروة ارتيريا من الماشية تقدر عام ١٩٦١ بعشرة ملايين رأس من الماعز والبقر والجمال . لكنها انخفضت عام ١٩٧١ الى ثلاثة ملايين رأس فقط وذلك بفعل الغارات الوحشية التي تشنها الحكومة الاثيوبية على الريف الارتيري والتي تستهدف من خلالها ضرب الماشية قبل التجمعات السكانية ، من اجل ضرب اكثر الموارد حيوية بالنسبة لسكان الريف اولا ومن اجل ابادة الجمال التي تعتبر وسيلة النقل الرئيسيه في الريف بالنسبة للسكان وللثوار على حد سواء ، وهكذا فعندما نقرأ بيانا عن غارة جوية على الريف الارتيري يقول ان الخسائر كانت كذا جمل فتقديقر ذلك فضولنا واستغرابنا ، لكن الثوار الارتيريون يقولون لنا ان الحكومة الاثيوبية تعتبر الجمل من الخطر اعدائها ، ذلك انه الوسيلة الوحيدة لنقل الاسلحة والذخائر والتموين لقواعد الثوار .

وبالطبع كون ارتيريا تطل في اطول ساحل لبلد على البحر الاحمر فان ثروتها السمكية هائلة وان كانت غير مستغلة جيدا — شانها شان الثروات الاخرى — الا بالقدر الذي تراه الحكومة الاثيوبية ملبيا لحاجاتها ومتطلباتها في سلب خيرات هذا البلد .

اما الزراعة فتتركز في المرتفعات ، وتظل المناطق الصحراوية رعوية بشكل اساسي رغم انها تختزن في جوفها كميات هائلة من المياه المتسربه من السيول المنحدرة من المرتفعات التي تغمر الصحراء في فصلي المياه الموسمية (الاول بين حزيران وايلول والثاني بين تشرين ثاني وكانون ثاني) وتكمل سيرها نحو البحر الاحمر .

تجري .. وتجريني

ويعمل الثوار الارتيريون على وضع خطة لاستصلاح هذه الاراضي وذلك بغمرها اطول مدة ممكنة بمياه السيول عن طريق اقامة السدود الرملية في وجه هذه السيول ومنعها من الانحدار نحو البحر ، ويقولون ان هذه الخطة مضمونه وغير مكلفة لان الاعماق الترية ليست رملية ، وانها في فترة الامطار الموسمية تكون صالحة نسبيا للزراعة ، وتكرار عملية غمرها بالمياه تعيد اليها الحياة وبذلك يمكنها ان تقدم محاصيل زراعية اساسية تفيض عن حاجة السكان الى جانب تحويل الريف الرعوي الى ريف زراعي وما سيتبع ذلك من تثبيت الرعاة بالارض بدلا من اضطرارهم الى النزوح الى المرتفعات في فصل الجفاف الفاصل بين موسمي المطر .

يبلغ سكان ارتيريا بين ٣ — ٤ ملايين ((لا توجد احصاءات دقيقة)) ولا يتوقع ان تكون هناك زيادة ملموسة على عدد السكان خلال السنوات العشرين الماضية التي اعقبت ضم ارتيريا قسرا الى اثيوبيا وذلك بسبب الظروف السيئة المعيشية والصحية التي يعيشها الشعب الارتيري اولا وبسبب الحرب الشرسة التي تشنها القوات الاثيوبية منذ اكثر من عشر سنوات ضد جماهير ارتيريا المطالبة بحريتها واستقلالها .

ويقسم السكان الى : الرعاة وهم قبائل البدو المهاجرين من الجزيرة العربية منذ مئات السنين ، والمزارعين وهم الجزء الذي استقر من هذه القبائل في المرتفعات والاراضي الصالحة للزراعة ، وسكان المدن ((برجوازية

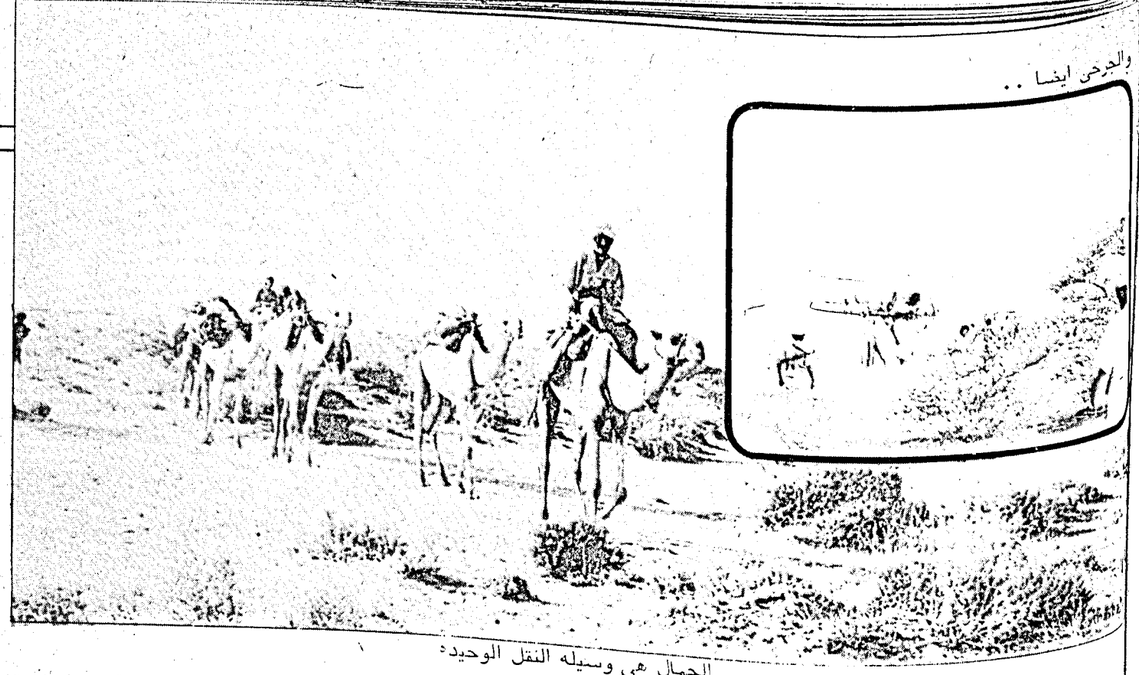

والجرحى ايضا ..

الجمال هي وسيله النقل الوحيده

المدن)) متمثلة في الطلبة وصغار الموظفين والضباط والصحاب المهن الحرة الذين يشكلون الغالبية الساحقة من سكان المدن .

يتكلم الارتيريون ثلاث لغات ، التجرية ، وهي لغة مناطق المنحدرات الشرقية وساحل البحر الاحمر والمنطقة الغربية والشمالية حيث التجمعات الاسلامية ، اما اللغة التجرينية فتنتشر في المرتفعات حيث استقر المزارعون هناك واغلبهم من المسيحيين الاقباط . واللغة العربية التي يتحدث بها السلمون الى جانب التجرينية .

الأرض .. ملكية جماعية

اما الارض فليست هناك ملكيات كبيرة ، وليس هناك اقطاع .. الملكية للارض جماعية تاريخيا حيث يقتسم مجموعة الافراد — غالبا على اساس عائلي او عشائري — مساحة من الارض ، تسمى فيما بعد قرية ، ولا يكون التقسيم نهائي ، فبعد سنوات يعاد النظر بالتقسيم السابق ، ويعاد التقسيم حسب الظروف التي تكون قد استجدت على المجموعة — كزيادة احتياج الاسرة او موت مالك احد اقسام الارض .. الخ . اي حسب تغير احتياجات افراد المجموعة بالنسبة لمساحة الارض السابقة .

ورئيس القبيلة او العائلة ليس بالضرورة مالكا لمجموع الارض ، ولهذا سلطته لا ترتكز على اساس الملكية ، وانما لمجرد كونه مديرا لشؤون المجموعة وهيبته معنوية غير فاعلة اقتصاديا ومن ثم سياسيا .

ولا يحق لاي فرد ان يخرج عن مجموعته ويتملك ضمن مجموعة ثانية ، حيث ينص الاعراف على ان اي شخص جديد يفد الى المجموعة يجب ان يمضي على وجوده كعنصر منتج اقتصاديا واجتماعيا اربعون عاما حتى يستحق ان يشارك المجموعة ملكية ارضها — وهذا شرط تعجيزي بالطبع — ويهدف كما هو واضح الى ضبط توزيع وملكية وزراعة الارض .

اما الاراضي التي ظلت بلا ملكية حتى وقت متاخر قبل دخول الاستعمار الاوروبي فاصبحت تملك بقرار من الحكومة لاي شخص يتعهد بزراعتها ، وفي الواقع كان اغلب هؤلاء المالكين اجدد من الايطاليين ، والذين ورثتهم الحكومة الاثيوبية بعد رحيلهم .

استعمار .. استعمار

لننفصل تاريخ ارتيريا عن تاريخ هذه المنطقة التي هي جزء مما تعارف على تسميته بالعالم الثالث .. فقد كانت تمثل طوال فترة طويلة بالنسبة للذوب الصناعي افاقا للتوسع والالحاق لما تحتويه من امكانات مادية وبشرية حيوية لا تقتصر على كونها مصدرا اساسيا للمواد الخام من جهة وسوقا جيدة الاستيعاب للبضائع المصنعة ، بل وايضا كونها مصدرا للايدي العاملة الرخيصة وللجيوش الجرارة التي كانت الامبرياليات الغربية تحارب بعضها بواسطتها في تناضمها على المزيد من المستعمرات والمزيد من مصادر المواد الخام والاسواق في ما وراء البحار .

وكان موقع ارتيريا الجغرافي على امتداد الساحل الغربي للبحر الاحمر قد جعلها منذ وقت مبكر محور صراعات عديدة للسيطرة عليها ذلك ان السيطرة على هذا الجزء من افريقيا كان يعني دائما التحكم بتجارة الشرق . لكن هذه الصراعات توقفت منذ الفتح العربي الاسلامي ، ومن القرن السادس عشر اصبحت ارتيريا جزءا من الامبراطورية العثمانية وحتى القرن التاسع عشر ، وبعد افتتاح قناة السويس ، بدأت الدول الاوروبية تتسابق لتقاسم مناطق النفوذ في بلدان شرق افريقيا ، ووفقا لترتيبات متفق عليها اصبحت ارتيريا وجزء من الصومال من حصة ايطاليا ، وهكذا وفي عام ١٨٨٥ بدأ الاحتلال الايطالي لارتيريا واستمر ستين عاما تقريبا .

وبعد هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية امام الحلفاء تقرر اقتسام تركتها ووضعت ارتيريا تحت الوصاية البريطانية المؤقتة التي استمرت حتى عام ١٩٥٠ .

وقد بدأت اثيوبيا منذ ذلك التاريخ تعد العدة لالحاق ارتيريا بها ، وذلك لاعتبارات اقتصادية وسياسية مرتبطة بمصالح الامبريالية الامبركيه ، مستفيدة من تجربة الاستيطان الصهيوني في فلسطين ومتذرعة بحجج واهية كحاجتها الى منفذ على البحر الاحمر مثلا ..

غير ان النهوض القومي الذي شمل المنطقة في تلك الفترة عمل على افشال المخطط الاثيوبي البريطاني الداعي الى تقسيم ارتيريا والحاقها بالسودان واثيوبيا ، ووضع امام الامم المتحدة مسؤولية البت في موضوع استقلال ارتيريا . وكالعادة تقدمت عدة مشاريع تتراوح بين التقسيم والالحاق وبين الاستقلال التام ، فغاز مشروع ((الحل الوسط)) القاضي باقامة اتحاد فدرالي بين اثيوبيا وارتيريا لمدة معينة تنتقل بعدها ارتيريا الى الاستقلال التام . وكان القرار ينص على ان تكون ارتيريا وحدة تتمتع بانحكم الذاتي داخل الاتحاد ، وعلى وجود حكومه ارتيرية وبرلمان .

في عام ١٩٦٢ قامت اثيوبيا بالغاء هذا الاتحاد من جانبها واعلنت الحاقها ارتيريا والحدة من ولاياتها وبالطبع كانت اثيوبيا قد عملت طوال السنوات